قوّة الصلاة

هل تستطيع الصلاة حقًّا أن تغيّر شيئًا؟

عظة ألقاها Hans-Jörg Ronsdorf

الله نفسه هو الذي أعطى الصلاة أهميتها، وقد ربط نفسه بصلاة أولاده، وبذلك يمكن أن يتغيّر مجرى الأمور. أمثلة: حزقيال 22: 29-31؛ مزمور 106: 23؛ خروج 32: 10-14. في أيام حزقيال لم يكن هناك من يتشفّع. وغياب الصلاة له عواقب سيئة. كانت الصلاة ستمنع الدينونة. صلّى موسى، فارتدّت الدينونة.

يسوع والصلاة: مشيئة الله لا تتمّ على الأرض. أو على الأقل لا تتمّ في كل مكان. لذلك علينا أن نصلّي لكي تكون مشيئته كما في السماء كذلك على الأرض. الصلاة تساعد على أن تتمّ مشيئة الله – أكثر مما لو لم نصلّ من أجل ذلك.

قال جون ويسلي (John Wesley) قولًا فيه شيء من المبالغة: «لا يعمل الله شيئًا إلا أن يستجيب لصلواتنا.» يستجيب الله لصلوات شعبه بطرق غير عادية، مثلًا موسى عند البحر الأحمر، وإطالة عمر حزقيا. طِلبة البارّ تقتدر كثيرًا في فعلها! (يعقوب 5: 16)

ضرورة التواصل بين الله والإنسان: يريد الله أن تكون له علاقة شخصية بنا. وهذا لا يكون إلا بالتواصل – تمامًا كما أنه لا شركة بين الناس بلا تواصل. لقد صنع الله العالم بحيث يرتبط كثير مما يحدث فيه بتواصلنا معه.

الصلاة وسلطة القرار المسؤولة أخلاقيًّا: صنع الله العالم بحيث لا يؤثّر هو فينا فحسب، بل نؤثّر نحن فيه أيضًا. يريد الله أن تتمّ مشيئته على الأرض. وهو يعمل من خلال وكلاء: فالبشر المخلوقون على صورته مدعوّون إلى أن يتسلّطوا على الأرض. **الصلاة شكل روحي، غير منظور ومؤقّت من أشكال الحكم – نصلّي من أجل أمور ينبغي أن تحدث هنا على الأرض. وهي مشاركة في الحكم معه حين نتّفق معه في الصلاة.**

الصلاة أمر ملحّ: الله جادّ في أمر الصلاة، فهو يربط نفسه بها تمامًا كما يربط نفسه بحرية الاختيار وباستقرار العالم. والحقيقة أن أمورًا كثيرة تتوقّف على صلاة شعب الله أو عدم صلاته – بل إن بعض الأمور لا يحدث إلا إذا صلّى. لقد رتّب الله بنفسه أن تكون الصلاة عاملًا حاسمًا يحدّد ما يستطيع الله أن يفعله أو لا يفعله في موقف معيّن.

بين الإلحاح والمحدودية: قد يستنتج المرء من ذلك استنتاجًا خاطئًا، كأن كل شيء يتوقّف على صلاتنا. نحتاج إلى توازن في الطريقة التي نمارس بها مسؤوليتنا وواجبنا. وهكذا الأمر أيضًا في الحياة الطبيعية. يمكننا أن نصلّي من أجل مليون أمر، لكن وقتنا محدود. لذلك من الجيد أيضًا أن نصلّي لكي نعرف على أيّ أمر نركّز صلاتنا. **نحتاج إلى توازن بين الافتراض أن كل شيء يتوقّف على صلاتنا، والافتراض أن لا شيء يتوقّف عليها.**

لماذا توجد صلوات غير مستجابة؟ نصلّي، والله يستجيب في إطار خليقة معقّدة تعقيدًا لا يُتصوَّر، تتألّم تحت وطأة حرب كونية. **الصلاة تُحدث فرقًا هناك.** لكن الصلاة ليست الشيء الوحيد الذي يحدّد مجرى العالم. فهناك أيضًا الملائكة والبشر الكثيرون الذين لهم إرادة حرّة لا رجعة فيها، وقوانين الطبيعة التي تضمن عالمًا مستقرًّا. والله يحترم ذلك، فهو أراده هكذا. لكننا لا نعرف البتّة كيف يرتبط عامل صلاتنا بهذه العوامل الأخرى، أي كيف يتعامل الله معها بناءً على صلواتنا. ستُستجاب صلواتنا، لكن في الغالب ليس بالطريقة التي نتخيّلها.

عوامل تؤثّر في فعالية الصلاة – قواعد يضعها الله نفسه:

مشيئة الله: ليست هذه العامل الوحيد، لكنها العامل الأكثر جوهرية. أن نطلب بحسب مشيئته شرطٌ للاستجابة (1 يوحنا 5: 14؛ متى 26: 39؛ 2 كورنثوس 12: 7). لكن مشيئة الله لا تعني دائمًا مشيئته المثالية أو خطّته الكاملة. لم تكن الشوكة في الجسد أمرًا مثاليًّا، لكن كان خيرًا لبولس أن تبقى له. فقد حفظته من الكبرياء! ألا تُستجاب بعض صلواتنا لأن استجابتها كانت ستجعلنا متكبّرين؟ وسبب عدم استجابة الصلوات لا يكمن بالضرورة في مشيئة الله (فإن لم يتُب إنسانٌ أصلّي من أجله، فالله يريد توبته حقًّا، لكنه يحترم رفض هذا الإنسان).

إيمان الشخص الذي يُصلّى من أجله: بسبب عدم الإيمان في الناصرة لم يستطع يسوع أن يصنع هناك إلا معجزات قليلة (مرقس 6: 5-6). وقال يسوع مرات عدّة لمن شفاهم: «إيمانك قد شفاك» (متى 9: 22؛ مرقس 10: 52؛ لوقا 17: 19). لكننا لا نستطيع أن نعكس الأمر ونعمّم: فإن لم يحدث الشفاء، فليس السبب بالضرورة نقص الإيمان. قد تكون هناك أسباب كثيرة لا نستطيع سبر غورها، تفسّر لماذا لم تُستجب صلاةٌ ما. لكن إيمان الشخص الذي يُصلّى من أجله عاملٌ من العوامل!

إيمان المصلّين: لوقا 5: 20: المفلوج الذي دُلّي من السقف؛ متى 8: 13: قائد المئة؛ ولكن أيضًا مرقس 9: 14-29: التلاميذ لا يستطيعون إخراج الروح الشرير. انظر أيضًا يعقوب 1: 6-7. لكن الصلاة غير المستجابة لا تعني في العادة أن المرء لم يكن له إيمان. إنه مبدأ أن الإيمان يجعل الصلاة أكثر فعالية، لكنه ليس قاعدة تقول إنها تُستجاب دائمًا.

الصلاة المثابرة: في الحياة المنظورة هناك مهامّ تحتاج إلى مثابرة ووقت. وكذلك الأمر في حياة الصلاة (لوقا 11: 5-8؛ 18: 1). الصلاة ليست سحرًا، بل عمل روحي. علينا أن نصلّي كأننا في حاجة ماسّة جدًّا إلى أمر ما. بلا انقطاع (1 تسالونيكي 5: 17). لكن إن لم تُستجب صلاةٌ ما، فلا يعني ذلك بالضرورة أننا صلّينا قليلًا. كما أن الصلاة الطويلة ليست ضمانًا للاستجابة. إنه مبدأ، لا ضمان للتحقيق – لأن عوامل كثيرة جدًّا تؤدّي دورًا.

عدد الذين يصلّون من أجل أمر ما: بعض الأعمال في المجال الطبيعي لا يمكن إنجازها بمفردنا، أو قد تستغرق وقتًا طويلًا جدًّا. وهكذا الأمر أيضًا في المجال الروحي. لذلك ندعو الكنيسة إلى الصلاة من أجل أمر ما. اثنان أو ثلاثة يتّفقون (متى 18: 19)، والجماعة صلّت (أعمال الرسل 4: 24). الكثرة تعطي الصلاة بُعدًا آخر غير الذي تكون عليه حين يصلّي المرء وحده. ليست قاعدة، بل مبدأ.

الإرادة الحرّة للإنسان: الجحيم هو الدليل الجادّ على أن الله يأخذ إرادة الإنسان بجدّية. فقد خلق البشر بحيث يقرّرون بأنفسهم، والله يحترم هذه الإرادة. والله لا يدوس هذه الإرادة حين نصلّي من أجل توبة أحد، وإلا لخلص الجميع. لكن صلاتنا تزيد من فعالية عمل الروح في هؤلاء الناس. القوة الإلهية لا تُكره، بل تُقنع: وقوّته هي المحبة!

الإرادة الحرّة للملائكة: يمكن للملائكة أن يؤثّروا في استجابة الصلوات. كان على دانيال أن ينتظر حتى جاء الملاك الذي أعاقه ملاكٌ آخر. لم يكن ذلك توقيت الله، بل مقاومة وحربًا روحية في العالم غير المنظور (دانيال 10: 12-13). منع الشيطانُ بولسَ من زيارة أهل تسالونيكي مع أنه كان يصلّي من أجل ذلك (1 تسالونيكي 2: 18؛ 3: 10). للقوات الروحية تأثير في استجابة الصلاة أو إعاقتها. وقد تكون هي السبب في عدم استجابة صلاةٍ ما، وعندئذ لا ينبغي أن ننسب ذلك إلى الله.

عدد الكائنات الروحية وقوّتها: الحرب الروحية، كما في العالم المنظور، لها علاقة أيضًا بهذه الخصائص. الملائكة يأتون لنجدة بعضهم بعضًا، لأن ذلك يُحدث فرقًا (دانيال 10: 13). رأى غلام أليشع جمهور الملائكة الذين جاؤوا للنجدة (2 ملوك 6: 16-17). إنسانٌ لم يكن فيه روح شرير واحد، بل أرواح كثيرة أخرجها يسوع (مرقس 5: 1-9). روحًا شريرًا قويًّا لم يستطع التلاميذ أن يخرجوه (مرقس 9: 14-29). سبعة أرواح تعود (لوقا 11: 24-26). لا داعي لأن نخاف، لأن الذي فينا أعظم من روح العالم (1 يوحنا 4: 4).

الخطية: حيث توجد خطية معروفة، أو عداوة، أو عدم استعداد للغفران، يجب مواجهة الخطية: يجب تركها والاعتراف بها، لكي نصلّي من جديد بفعالية بوصفنا أبرارًا.

كيف نستطيع أن نحيا مسيحيين في منطقة الحرب هذه، مع ألف سؤال وصلوات غير مستجابة؟

أن نثبّت عيوننا على يسوع – لا أن نكوّن صورتنا عن الله من اختباراتنا!

الله معنا وإلى جانبنا! دائمًا!

الله قادر أن يُخرج لنا من كل موقف، ومن كل ألم، شيئًا صالحًا (حتى لو لم يكن هو مُسبّب الشرّ).

ألّا نطرح سؤال «لماذا؟» الذي لا يستطيع أحد أن يجيب عنه، بل أن نقف ضد الألم وضد الشر، ولا نقبله. تمامًا كما فعل يسوع!

كيف نستطيع أن نحيا ونجد الطريق الصحيح والقرارات الصائبة؟ بأن نحيا ونكون منقادين بالروح الساكن فينا!

أن نحيا في رجاء الخليقة الجديدة! كل ألم سينتهي! قريبًا!

أدين بكثير من أفكار هذه العظة لغريغوري أ. بويد (Gregory A. Boyd).